

## ظاهرة تكريس ثورة تكنولوجيا الاتصالات الحديثة الأمن

### الفكري في الجزائر، الواقع والآفاق.

أ/ بلعسل محمد

#### جامعة المسيلة

**تمهيد:** شهد العالم في بداية القرن الواحد والعشرين ثورة علمية وتكنولوجية مذهلة، أحدثت تأثيرات عديدة على السلوك الإنساني ككل وشملت مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية. على هذا الأساس يتناول موضوع هذه الدراسة ظاهرة تكنولوجيا الاتصالات الحديثة (الانترنت والوسائل السمعية البصرية الحديثة) ومدى تكريسها للأمن الفكري في الجزائر، حيث يمكن القول أن ثورة الاتصالات الحديثة أصبحت تهز كثيرا من الأفكار وأساليب السلوك التي ينشأ عليها الشباب، وبخاصة في الحالات التي تبدو فيها الهوية واسعة وعميقة بين القيم والأفكار والتصرفات التقليدية من جهة، وبين نبض العصر من جهة أخرى. فالملاحظ لدى كثير من سلوكيات الشباب الجزائري اليوم أنه مولع ذهنيا ويقلد فعليا سلوك بعض اللاعبين أو المغنيين أو الدعاة أو غير ذلك. هذا الوضع جاء نتيجة ما يتلقاه من رسائل الإعلام الأجنبي وتكنولوجيا المعلومات المتدفقة بشكل لم يسبق لها مثيل في عصر البشرية.

إنّ التقدّم التكنولوجي الهائل الذي أحرزته وسائل الاتصال حمل معه تغييرات اجتماعية وثقافية متنوعة لا تزال في حاجة إلى استكشاف وتقييم لأبعادها المختلفة على الوجه الأكمل. فمثلا ما يلاحظه أي فرد في الجزائر أنّ تأثير التلفزيون على فئة الأطفال زاد واتسع كثيرا مقارنة بفترات سابقة، حيث في الماضي القريب وبوجود الإعلام الوطني الرسمي فقط لم تكن تتاح للطفل في الجزائر مشاهدة برامج الرسوم المتحركة في اليوم سوى ساعة أو نصف ساعة في اليوم، ولكن بظهور قنوات الإعلام الرقمي المفتوح أصبح الطفل أمام برامج لا تنقطع 24 ساعة على

24 ساعة بأسلوب مشوق ومتتالي وغير منقطع — مثل قناة السبيستون، أو قناة أم بي سي3... الخ — التي تؤثر على تفكير وسلوك الطفل وتعلمه.

وكما لا يخفى علينا كذلك التأثيرات التي تحدثها برامج عرض الفيديو كليب الماجنة والأفلام الخليعة (الجنسية) التي يتم تحميلها من مواقع الكترونية خطيرة لا يقل تأثيرها على التفكير الرشيد والتربية الحسنة لدى فئة المراهقين والشباب من الوسائل الأخرى، فالانترنت أصبح كالبحر المتلاطم الأمواج، ومن واجب المجتمع أن يوفر للشباب أطواق النجاة لكل ما هو على وشك الغرق، فلقد دخلت الانترنت إلى المجتمع، وأصبحت واقعا ماديا ملموسا لا يمكن إغفاله. ومن واجبنا كأفراد ومجموعات مثقفة أن نستغل كل موارده المفيدة لتقدمنا ورقينا.. وأن نحاول تسخير هذا المفيد للوقوف به كدفع يقي مجتمعا من أمواج الظلام الكاسح. والمسؤولية في وجود سلوك منحرف وثقافة سلبية مسؤولية يتحملها الجميع من الفرد إلى القيادة السياسية العليا. خاصة إذا علمنا بأنّ الجزائر " تعاني عجزا في مجال البرمجيات وغيرها من أعمال الكمبيوتر التي يمكن الاستفادة من جهود هؤلاء الشباب وتحويلهم لأداة نفع تعود على المجتمع بما ينفعه ويحول هؤلاء الشباب لطاقات منتجة تشعر بوجودها وتفتح أمامها الأمل في المستقبل بدلا من الهروب إلى هذه الغرف التي تقتل وقته وتدمر شخصيته وتدفعه لفعل أشياء منافية لقيمه وعاداته.

من خلال هذا العرض الموجز نطرح الإشكالية التالية: إلى أي حد كرسّت الثورة التكنولوجية الاتصالية الحديثة الأمن الفكري في الجزائر؟

سوف يتم الإجابة على الإشكالية المطروحة بطريقة تحليلية نقدية حسب خطة الباحث كما يلي:

#### 1/- تحديد بعض مفاهيم الدراسة.

2/- واقع الأمن الفكري في ظل الثورة التكنولوجية الاتصالية العالمية في الجزائر.

3/- الحلول الممكنة اتخاذها لتحقيق الأمن الفكري في الجزائر.

4/- خلاصة واستنتاجات.

## 1. تحديد بعض مفاهيم الدراسة:

يجدر بنا قبل أن نشرع في دراسة أي موضوع أن نحدد المفاهيم الأساسية التي يتركز عليها موضوع الدراسة، وعلى هذا الأساس نجد بأن أهم هذه المفاهيم هي: مفهوم تكنولوجيا الاتصالات الحديثة ومفهوم الأمن الفكري.

**ب/- مفهوم تكنولوجيا الاتصالات الحديثة:** يمكن القول أن "تكنولوجيا المعلومات والاتصالات هي مجموعة الأدوات والأجهزة التي توفر عملية تخزين المعلومات ومعالجتها ومن ثم استرجاعها، وكذلك توصيلها بعد ذلك عبر أجهزة الاتصالات المختلفة إلى أي مكان في العالم، أو استقبالها من أي مكان في العالم" (1). وعلى هذا الأساس يطلق على عصرنا هذا بعصر مجتمع المعلومات الذي خلق وسائل جديدة، لا يمكن التحكم فيها، انتقلت فيها المعرفة من المجال المحلي أو الوطني إلى المجال العالمي، وهذا بفضل شبكة الانترنت وتطور تكنولوجيا المعلومات حيث "انتشرت تطبيقات تكنولوجيا المعلومات في شتى المجالات، وعلى جميع المستويات، في المصانع والحقول، ومكاتب الإدارة وفصول الدراسة، ومن غرف العمليات إلى غرف المعيشة، ومن سفن الفضاء إلى أدوات المطبخ، وعلى ما يبدو فلا حدود لتطبيقات هذه التكنولوجيا السخية إلا حدود قدرات الإنسان المستخدم لها، ولم يعد السؤال كما قيل هو ماذا نستطيع أن نفعله بها بل ماذا نختاره منها؟؟؟ (2). فالمتنَّب لمختلف الحصص والبرامج والنشرات التي تبثها القنوات التلفزيونية والتجول عبر مواضيع شبكة الانترنت تجعل الإنسان في حيرة من أمره، ماذا يشاهد وماذا يتابع وماذا يأخذ؟ لذا فالفرد هو المسؤول الأول والأخير عن احتياجاته، والمتحكم الرئيسي لمطالبه في بيئة ذات كم كبير من المعلومات والمستجدات المتنوعة والمشوّقة. فالإنترنت اليوم أصبحت وسيلة تتيح للفرد البحث عن أي شيء يخطر بباله، وفي أي مجال يريد الأخذ منه، فضلا على أنها أصبحت وسيلة للمعاملات الاقتصادية والتجارية وسبيل للتواصل العالمي بين مختلف الأفراد والمجتمعات والدول. فبعض المجتمعات اليوم يطلق عليها اسم المجتمع المعلوماتي ومثال ذلك أن دولة صغيرة مثل "سنغافورة" أصبح يطلق

عليها اسم "جزيرة الذكاء" للدرجة العالية في توظيف تكنولوجيا المعلومات في المؤسسات الوطنية والإدارات والجامعات ووضع شاشات عملاقة لمشاهدة وتتبع الأخبار وتقديم المعلومات في الساحات العامة وأماكن الراحة والاستجمام. كل هذا يساهم في خلق أساليب تفكير جديدة وثقافة تكنولوجية جديدة لدى الفرد والمجتمع. مما يقتضي من الحكومات الوطنية مواكبة هذه الموجة المعلوماتية والعمل على تأمين نسقها الداخلي من كل الأضرار التي قد تعيق عملية التنمية الوطنية من جهة. وخلق آليات جديدة لتوظيف هذه الثورة في خدمة الوطن والحفاظ عليه من كل أشكال التفكير الظلامي والمهدم لوحدة الوطن وقيم المجتمع وأصوله الحضارية. هذه الآليات تتمثل في الأمن الفكري الذي سوف نحدد معناه في الأسطر التالية.

**أ/- مفهوم الأمن الفكري:** يلقي مفهوم الأمن عموماً في عصرنا الحالي دراسات وأبحاث كثيرة لدى الباحثين والكتاب، وذلك لكون الأمن هو العنصر الأساسي لخلق أي تطور وأية تنمية وأية سياسة رشيدة في الدولة الوطنية. وبالنظر إلى ما يدور في الواقع الدولي الآن نجد بأن أهم شيء تطالب به الشعوب المختلفة هو الأمن والاستقرار. فالأمن بصفة عامة يعد الحجر الأساس الذي تبني به الدولة استقرارها وتقدمها ومن خلاله يستطيع الفرد والمجتمع أن يتحرر وينعم بالرفاهية المجتمعية. وكما قال الله عز وجل في كتابه الكريم " وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى (3). ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا» (4). هذه النصوص وغيرها لدليل على أن الأمن هو نعمة عظيمة، وضرورة حياتية لجميع البشر، به تتحقق الطمأنينة، ويعيش الناس في هناءة وسعادة ووثام.

وبالرجوع إلى التعريف الاصطلاحي للأمن لوجدنا بأنه يعرف على أنه يحمل معاني وتعريفات كثيرة ومختلفة ولكن يمكن القول أنه " يعنى التطور والتنمية سواء منها الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية في ظل حماية مضمونة " (5). كما أنه

يعني كذلك " اطمئنان الفرد والأسرة والمجتمع على أن يحيا حياة طيبة بالدنيا ولا يخافوا على أموالهم ودينهم ونسلهم من التعدي عليهم بدون وجه حق"(6) ودون شك أن الأمن يحمل في طياته عدة أنواع مثل الأمن القومي، والأمن الغذائي والأمن الاقتصادي والأمن الفكري وغيرها. وبما أن مجال دراستنا تتركز على النوع الأخير فانه يمكن أن يعرف على انه "صيانة عقول أفراد المجتمع ضد أية انحرافات فكرية أو عقدية مخالفة لما تنص عليه تعاليم الإسلام الحنيف أو أنظمة المجتمع وتقاليده" (7). فالأمن الفكري هو " سلامة النظر الذهني والتدبر العقلي للوصول إلى النتائج الصحيحة بلا غلو ولا تفريط"(8). فالتصورات العقلية والذهنية لدى الفرد تحتاج إلى امن وصيانة دائمة ومستمرة من اجل تحصينها من الانحرافات والعقائد الفاسدة والأفكار المهدمة لكل القيم السليمة وأساليب التفكير الصحيحة. فإذا صلح الفرد وصلحت أفكاره وتصوراته بطريقة سليمة فان الأسرة تصبح كذلك صالحة وهذا ما ينعكس بالإيجاب على المجتمع الذي هو في أصله عبارة عن أفراد وأسر تجمعهم روابط اجتماعية وثقافية متشابكة تحكمهم. فبالرجوع إلى تعريف الدولة نجد بان أهم عنصر يكونها هو الشعب وعلى هذا الأساس فان الشعب إذا كان يملك تصورات ذهنية وعقلية سليمة فان الدولة تنتقل إلى مرحلة التقدم والتطور في كافة الميادين وعلى مختلف المستويات. أما عن أهداف الأمن الفكري فيمكن أن نجملها في النقاط التالية(9):

- 1- غرس القيم والمبادئ الإنسانية التي تعزز روح الانتماء والولاء لله ثم لولاة الأمر
- 2- ترسيخ مفهوم الفكر الوسطي المعتدل الذي تميز به الدين الإسلامي الحنيف
- 3- تحصين أفكار الناشئة من التيارات الفكرية الضالة والتوجهات المشبوهة
- 4- تربية الفرد على التفكير الصحيح القادر على التمييز بين الحق من الباطل والنافع من الضار

5- إشاعة روح المحبة والتعاون بين الأفراد وإبعادهم عن أسباب الفرقة والاختلاف

6- ترسيخ مبدأ الإحساس بالمسؤولية تجاه أمن الوطن والحفاظ على مقدراته ومكتسباته.

## 12- واقع الأمن الفكري في ظل الثورة التكنولوجية الاتصالية العالمية في الجزائر:

يحتلّ موضوع تأثير تكنولوجيا الاتصالات الحديثة على الثقافة والفكر حيزاً كبيراً من التحليل والنقد لدى الكثير من الباحثين والدارسين، فعلى سبيل المثال نجد الباحث العربي "نبيل علي" يقول في أحد مؤلفاته أنّه قد "ظنّ البعض خطأ أنّ إعلام عصر المعلومات ما هو إلاّ مجرد طغيان الوسيط الالكتروني على باقي وسائط الاتصال الأخرى، لكنّه — في حقيقة الأمر — أخطر من ذلك بكثير، فالأهم هو طبيعة الرسائل التي تتدفّق من خلال هذا الوسيط الاتصالي الجديد، وسرعة تدفقها وطرق توزيعها واستقبالها. لقد نجمت عن ذلك تغيرات جوهرية في دور الإعلام، جعلت منه محورا أساسيا في منظومة المجتمع، فهو اليوم محور اقتصاد الكبار، وشرط أساسي لتنمية الصغار... لقد ساد الإعلام ووسائله الالكترونية الحديثة ساحة الثقافة، حتى جاز للبعض أن يطلق عليها ثقافة الميديا، وثقافة التكنولوجيا، وثقافة الوسائط المتعدّدة(10).

إنّ الرّسائل التي تتدفّق من طرف وسائل الإعلام الحديثة المتمثّلة في البرامج والحصص والاشهارات والمعلومات المتنوعة مسّت الجانب الثقافي لدى الفرد والمجتمع ككل. وهذا التحوّل في حقيقة الأمر يرتبط بالتحوّل الكلي للعالم وانتقاله من مرحلة الثنائية القطبية إلى مرحلة الأحادية القطبية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية. حيث تعدّ هذه الأخيرة القوة الاقتصادية والإعلامية والمعرفية الأولى المسيطرة على دول العالم، فهي رأس قاطرة العولمة ومحركها لما تملكه من وسائل علمية حديثة وشركات رأسمالية عملاقة واستقطاب العلماء وتوظيفهم في بناء الاستراتيجيات الداخلية وكذا صنع واستخدام التكنولوجيا الجديدة في مجمل الميادين

ومختلف القطاعات. ومن ناحية أخرى نجد بأنّ العالم انتقل من مرحلة الحداثة إلى مرحلة ما بعد الحداثة إذ" يعكس مفهوم ما بعد الحداثة "post modernism" التحوّلات في هذا التباعد التي اتّسعت لتشمل التنظيمات القائمة على التعددية والمتفتحة على المنهجيات والمسالك والمجالات المتعدّدة وعدم النقد وتجسيد نظرية واحدة تحتكر الحقيقة بمفهومها المطلق. يركّز تنظيم ما بعد الحداثة على مفهوم الثقافة التنظيمية وبالأخص كيفية تحوّل المنظمات نحو تبني الرؤى المتعدّدة والثقافات المتنوعة، والهيئات المحايدة في أعمالها ونشاطاتها. كما يشجّع تنظيم ما بعد الحداثة على فهم الثقافة ويحاول تعضيدها بدلاً من تغييرها وبخاصّة عندما تعمل في الاتجاه الايجابي. إنّ تنظيم ما بعد الحداثة ينطلق من فرضية أن ليس للمنظمات ثقافة موحّدة بل عدّة ثقافات ذات توجّهات متعدّدة"(11).

وبالنظر إلى خصائص المجتمع الجزائري فهو مجتمع يغلب عليه الطابع الريفي وينتمي من ناحية الهوية والانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية التي لها مقوماتها الذاتية ولها امتدادات وجذور ترجع عناصر تحكمها إلى العقيدة الإسلامية والقبيلة والريع، عكس المجتمعات الغربية التي عرفت تطوّرًا حضاريًا مغايرًا للأول، التي لها قيم مخالفة لقيم المجتمع الإسلامي (هذا ما نلاحظه حينما تنشر وسائل الإعلام الغربية رسومات كاريكاتورية مسيئة للنبي محمد (ص) ومحاولة حرق المصحف الشريف من طرف كنيسة أمريكية وغيرها وهذه كلها دلائل على مدى وجود صراع حضاري وثقافي من طرف الغرب اتجاه المسلمين في عصر ظاهره الوحدة والسلام وباطنه العداوة والانقسام). وبدون الدخول في تفاصيل، يمكن القول أنّ " القيم والاتجاهات والأعراف والسلوكيات السائدة... تسهم إسهاما بالغا في تحديد درجة تبني أجهزة التنفيذ للمواضيع المسطّرة من طرف الدولة، التي تستند إليها السياسات والبرامج التنموية، ودرجة سعي هذه الأجهزة لتحقيق هذه الغايات(12). وبما أنّ الجزائر فيها العديد من المؤسسات العامّة والخاصّة فإنّ المثل والقيم التي تتحكّم في القاعدة ينبغي تأهيلها وجعلها تتكيف مع التطورات العلمية المعاصرة، فلا يمكن إلغاء القيم والعادات والأعراف المجتمعية وحتى الاقتصادية بل تعضيدها

وتوظيفها مع النظريات والابتكارات الجديدة والمغيرة لنمط الحياة من الوضع البدائي التقليدي إلى وضع حداثي متطور، وببساطة الأخذ من العولمة الأشياء الصالحة والنافعة والتي تعود بالمجتمع على النمو والتطور وترك الأمور والأشياء المفسدة والتي تضر بالمجتمع فكريا وماديا.

ومن ناحية أخرى يرتبط موضوع تنمية الموارد البشرية التي تعد من أهم العناصر المرتبطة بتقدم اقتصاديات الدول في العصر الحالي باستخدام الوسائل والتقنيات الحديثة، حيث لا يمكننا أن نحقق أية نتيجة إذا لم نهتم بالإنسان أو ببناء الإنسان في حد ذاته. ففي عصر العولمة أصبح التغيير هو السمة الطاغية على جميع المجالات، ويرتكز مفهوم التغيير هذا على نماذج العمل والتطوير نحو الأحسن. وبالنظر إلى آليات عمل الشركات المتعددة الجنسيات اليوم نجد بأن أهم شيء تعمل على توظيفه من أجل تحقيق أهدافها الربحية بسرعة هو رأس المال المعرفي. فعالم اليوم هو عالم الاستثمار في الإنسان "Investment in human beings" بكل الطرق والأساليب الثقافية والعلمية والجسمانية، فالعنصر البشري المؤهل صحياً وعقلياً وثقافياً هو الطاقة الدافعة لأي مشروع اقتصادي أو سياسي أو ثقافي نحو النجاح والريادة. وكما قلنا سابقاً أن الجيل القارئ هو العنصر الأشد حيوية والعامل الأقوى في تقدم الأمم وتطور الشعوب، وارتقاء الدول وامتلاكها لأسباب القوة. "إن حقائق العصر تؤكد لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن قوة الحضارة الغربية إنما جاءت من التركيز على التعليم ومن الابتعاد عن معترك الصراع السياسي أو التنافس بين الأطراف المتطلعة نحو تحقيق المصالح الآنية"(13).

وبدون شك فإن اقتصاد السوق هو نظام مفتوح على كل المستجدات العالمية، والتطورات والنماذج المطبقة في الكثير من دول العالم، وأن تغيير العقليات يساهم في تغيير أنماط العمل والأسعار وتطوير حركية الإنتاج والتنظيم فكما هو معلوم أن "عصر العولمة لم يعد السؤال من يتحكم بالوسائل المادية — من أراض وموارد طبيعية وحتى رؤوس الأموال — بل من يتحكم بالوسائل اللامادية، تكنولوجيا

متطوّرة وإعلام وبحث علمي ومعلومات(14). فقد يحدث مثلا أن تتبنّى الحكومة حزمة من السياسات تستهدف بمقتضاها تشجيع الاستثمار أو جذب رأس المال الأجنبي، أو تنمية الصادرات، فإذا كانت ثقافة المؤسسات الحكومية التي يقع على عاتقها تنفيذ هذه السياسات غير ايجابية وداعمة لهذه السياسات بفعل وجود جمود أو مقاومة للتغيير أو بفعل وجود قوى معارضة لهذه السياسات أو اتجاهات عدائية تجاه مجتمع مؤسسات الأعمال التي ترتبط به، أو بفعل وجود فساد غالب على ممارسة هذه الأجهزة، أو حتى بفعل سيادة سلوكيات وأعراف تتصف بالتراخي وعدم الاكتراث بالجمهور، الذي تتعامل معه هذه الأجهزة، فإنّ مصير هذه السياسات هو إمّا الانحراف بها عن غاياتها أو فقدانها لقوّة الدفع خلال التنفيذ الفعلي(15). فانفتاح المؤسسات الوطنية على البيئة الخارجية جعلت رجال الأعمال وصانعي القرارات يعملون على التفكير في خلق سلوكيات تتماشى مع موجة العولمة والتكيف مع مستجداتها لا معارضتها. وبالنظر للدور الإعلامي في هذا الشأن وأهميته لتحقيق تفكير سليم والتنمية المنشودة فإن ما يلاحظ أن " هناك شبه غياب تنظيري للقضايا التي يطرحها إعلام عصر المعلومات وانعكاساته على تضاريس واقعنا العربي (الجزائري)، فخطابنا الإعلامي الرسمي يسوده الطابع العلمي ويخلط — عادة — ما بين الغايات والسياسات والإجراءات"(16). وعلى هذا الأساس يمكن القول " أنّ طبيعة العمل لا تتغيّر، وطبيعة المنصب لا تتغيّر، بل المتغيّر هو قدرة الفرد ومدى التطور الذي يمكن أن يقدّمه للعمل ولطبيعة المتغيّرات وكذلك درجة التعقيد في الأوضاع التي يمكنه التعامل معها، ذلك هو نموذج تطور الشخصية الذي ستوفره الشركات في القرن الحادي والعشرين، أي إذا كان الأفراد قادرين على القيام بأعمالهم فإنّهم ذو قيمة كبيرة من وضعهم في الإدارة(17).

إنّ "عملية التطوير والتحديث الاقتصادي والإداري تعتبر بمثابة نشاط دائم يتّصف بالاستمرار، لأنّ ذلك يأتي انسجاما مع التغيّرات والتطوّرات والانجازات العلمية والثقافية في الأساليب والطرائق والوسائل والأدوات الإدارية(18)، فتكنولوجيا المعلومات اليوم تتيح للمديرين ورؤساء الوحدات الإدارية الاطلاع على

مختلف المستجدات والتطورات الموجودة في العالم. ففي السابق كانت البيئة مغلقة ولا يستطيع الفرد أو الشخص الموجود في الوطن معرفة ماذا يحدث وينجز ويكتشف خارج حدود الدولة الوطنية أو المحيط الذي يتواجد أو يعمل فيه. ولكن بفضل الإعلام الرقمي ووسيلة الانترنت يستطيع أي واحد أن يتسوق ويعرف ويكتشف كل ما يطلب أو يعرض في دول العالم (تجارة الكترونية).

إنّ التقدّم الهائل في وسائل الاتصال والمواصلات قد ساعد الشباب على تخطي حدود المحلية والإقليمية وعرضهم لتأثيرات عالمية: فالراديو والتلفزيون يستقلان الإرسال العالمي الآن مباشرة من الأقمار الصناعية، والصحف اليومية، والكتاب والأسفار وغيرها. تساعد في تحطيم الحصار الذي فرض على عقول الشباب وعواطفهم، وتضعهم في دوامة الأحداث العالمية، أرادوا أم لم يريدوا (19). وخير مثال على ذلك ما حدث ويحدث في قطاع غزة بفلسطين المحتلة، حيث بمجرد قصف القوات الإسرائيلية الأبرياء وإحداث مجازر على الأطفال والشيوخ وغيرهم، ونقل تلك الصور والمشاهد الفظيعة من طرف مختلف القنوات الإخبارية العالمية ليكون ردة فعل الشارع العالمي التنديد وإقامة المظاهرات والقيام بمختلف السلوكيات المناهضة لمثل تلك الأعمال الممجية.

وعلى هذا الأساس، يمكن القول أنّ ثورة الاتصالات الحديثة أصبحت " تهز كثيرا من القي والأفكار وأساليب السلوك التي ينشأ عليها الشباب، وبخاصة في الحالات التي تبدو فيها الهوية واسعة وعميقة بين القيم والأفكار والتصرفات التقليدية من جهة، وبين نبض العصر من جهة أخرى" (20). فالملاحظ لدى كثير من سلوكيات شباب اليوم انه مولع ذهنيا ويقلد فعليا سلوك بعض اللاعبين أو المغنيين أو الدعاة أو غير ذلك. هذا الوضع جاء نتيجة ما يتلقاه من رسائل الإعلام الأجنبي والمحلي، كما كرس نمطا ثقافيا جديدا يتطلب " نضجا مؤسسيا وقانونيا وتنظيميا ووعيا مجتمعيًا عميقًا حتى ينمو ويتزعرع" (21).

وفي نفس هذا الإطار، ترى الباحثة المصرية " عواطف محمد عبد الرحمن" في أحد كتبها أنّ " التقدّم التكنولوجي الهائل الذي أحرزته وسائل الاتصال منذ اختراع

آلة الطباعة في القرن الخامس عشر وحتى المرحلة الراهنة كان له انعكاسات عميقة في اتساع وسائل الاتصال من حيث الكم والنوع... والانتشار السريع للتلفزيون في الدول المتقدمة وتزايد نمو تأثيره في العالم الثالث قد حمل معه تغييرات اجتماعية وثقافية متنوعة لا تزال في حاجة إلى استكشاف وتقييم لأبعادها المختلفة على الوجه الأكمل" (22). فمثلا ما يلاحظه أي فرد في الجزائر أن تأثير التلفزيون على فئة الأطفال زاد واتسع كثيرا مقارنة بفترات سابقة، حيث في الماضي القريب وبوجود الإعلام الوطني الرسمي فقط لم تكن تتاح للطفل في الجزائر مشاهدة برامج الرسوم المتحركة في اليوم سوى ساعة أو نصف ساعة في اليوم، ولكن بظهور قنوات الإعلام الرقمي المفتوح أصبح الطفل أمام برامج لا تنقطع 24 ساعة على 24 ساعة بأسلوب مشوق ومتتالي وغير منقطع — مثل قناة السبيستون، أو قناة أم بي سي 3... الخ — التي تؤثر على تفكير وسلوك الطفل وتعلمه.

وكما لا يخفى علينا كذلك التأثيرات التي تحدثها برامج عرض الفيديو كليب الماجنة والأفلام الخليعة (الجنسية) التي يتم تحميلها من مواقع الكترونية خطيرة لا يقل تأثيرها على حب التعلم والتفكير الرشيد والتربية الحسنة لدى فئة المراهقين والشباب من الوسائل الأخرى، " فالانترنت أصبح كالبحر المتلاطم الأمواج، ومن واجب المجتمع أن يوفر للشباب أطواق النجاة لكل ما هو على وشك الغرق، فلقد دخلت الانترنت إلى المجتمع، وأصبحت واقعا ماديا ملموسا لا يمكن إغفاله. ومن واجبنا كأفراد ومجموعات مثقفة أن نستغل كل موارده المفيدة لنقدّمنا ورقينا.. وأن نحاول تسخير هذا المفيد للوقوف به كدرع يقي مجتمعنا من أمواج الظلام الكاسح (23). والمسؤولية في وجود سلوك منحرف وثقافة سلبية مسؤولية يتحملها الجميع من الفرد إلى القيادة السياسية العليا. خاصة إذا علمنا بأنّ الجزائر تعاني عجزا في مجال البرمجيات وغيرها من أعمال الكمبيوتر التي يمكن الاستفادة من جهود هؤلاء الشباب وتحويلهم لأداة نفع تعود على المجتمع بما ينفعه ويحول هؤلاء الشباب لطاقات منتجة تشعر بوجودها وتفتح أمامها الأمل في المستقبل بدلا من

الهروب إلى هذه الغرف التي تقتل وقته وتدمر شخصيته وتدفعه لفعل أشياء منافية لقيمه وعاداته"(24).

فكثير من الشباب الجزائري اليوم أصبح يحمل من الهوية والوطنية والعادات والتقاليد سوى الاسم، وهذا نتيجة لمشاهدة الكثير من البرامج التي تطلقها وسائل الإعلام خاصة الأجنبية، حيث مسّت الأطفال والمراهقين والشباب، كما مسّت كلا الجنسين الذكور منهم والإناث، وهذا الوضع أنتج حالة انفصام أو حالة "البعد عن الانتماء" وربما اعتراضه وعدم الولاء له. وعليه يمكن القول أنّ " من مظاهر الهيمنة الإعلامية المعاكسة للتطور الاجتماعي والثقافي تلك الممارسات المخلة بالأخلاق والقيم الصادرة من مؤسسات الدعاية والإعلان. ذلك أنّ الأشرطة الدعائية والبرامج التلفزيونية أضحت من جملة أدوات الهيمنة الثقافية والتنشوية الحضاري من جرّاء ما تنقله للبلدان النامية من نماذج ثقافية مخالفة لقيمتها ومناهضة لأهدافها الإنمائية"(25). ومثال ذلك تلك المسلسلات التلفزيونية المذبذبة التي تحمل في مضامينها العديد من العادات والسلوكيات المنافية تماما لعادات وتقاليد المجتمع الجزائري الأصيل.

وفي الأخير يمكن القول أنّ المحافظة على قيم وثقافة وخصوصية المجتمع الجزائري لا يمكن أن تكون إلّا بخلق بيئة تدرك ما يفسدها وما يضرها، هذه البيئة تقوم على فكرة الانسجام والاتحاد بين جميع العناصر (مجتمع مدني، أفراد، إعلاميين، الحكومة، المفكرين...الخ) المكوّنة لها لخلق مجتمع متقدّم. وهذا لا يتحقق إلّا بتوفر مجموعة من الشروط أهمها الاهتمام بالتعليم، حيث نجد الكاتب اللبناني " أنطوان زحّان" يضع لنا حقيقة تقول بأنّ "هجرة الكفاءات ونقل التكنولوجيا والمعلومات والتنمية الاجتماعية والاقتصادية تدور جميعها على التعلّم"(26). فبالعلّم يمكن خلق جيل ينتج ويبدع ويحقق تنمية شاملة ومستدامة

### **13- الحلول الممكنة اتخاذها لتحقيق الأمن الفكري في الجزائر:**

يتفق العقلاء أياً كان دينهم على حاجة الكائنات كلها من بشر وحيوان ونبات وجماد للأمن فما بديله إلا التدمير والإفساد للحياة والإحياء ولذا فإنّ الأمن من أهم

الأسباب للحفاظ على الضروريات الخمس التي جاءت جميع الشرائع السماوية للحفاظ عليها وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال ومادام إن الأمن نعمه يرفل بها كل فرد ومجتمع ويسعد بها كل موجود فإن الحفاظ عليه واجب يشترك فيه جميع الأفراد والمؤسسات والهيئات في المجتمع والمؤسسات التربوية والتعليمية من أولى الجهات المعنية بالحفاظ على الأمن ووقاية المجتمع من مفسداته من خلال بناء شخصية ناشئة (بناءً إسلامياً) وعندما تتعرض أي أمة أو مجتمع لأزمة أو ضائقة فإنها تتجه للتربية باعتبارها المدخل الأنسب للتغيير والتصحيح التربوية هي المعنية بتكوين المفاهيم الصحيحة وتعزيزها في أذهان الناشئة وهي المسؤولة عن بناء الاتجاهات وضبطها ، بها يقوى البناء الاجتماعي ويعزز وحدته وعلى الرغم أن التربية المقصودة تتم عبر عدة مؤسسات داخل المجتمع مثل الأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام فإن المدرسة تبقى إحدى المؤسسات المهمة في القيام بعملية التربية على اعتبار أن العملية التربوية فيها تتم بصورة مخططة كما أن الممارسين لها يتم إعدادهم للقيام بذلك بصفه مهنية متمكنة فإن المدرسة هي المدخل الأول لتنفيذ جملة من البرامج والمناشط التربوية التي تتجه إلى تحصين عقول الناشئة ووقايتها من الانحرافات الفكرية في ضوء الغايات والأهداف والسياسات التي تسير العملية التعليمية والتربوية وذلك بتعميق ولاء الطلاب لله، ولكتابة ولسوله، وثم لقادة البلاد وعلمائها(27).

إنه رغم اضمحلال عصر رقي الحضارة العربية الإسلامية التي اهتمت كثيراً بالمكتبات وحث الناس على طلب العلم والاعتماد على النفس في كسب الرزق، إلا أن عصر اليوم يوصف بأنه عصر العلم والتكنولوجيا لكون "العلم والتكنولوجيا هما المسؤولان بالدرجة الأولى عن كل هذا التغيير وسرعته ومداه، فلو لا العلم والتكنولوجيا لما كانت الحضارة العلمية الحديثة. ولما واجهت الإنسان الحديث مشكلة اضطراره للتكيف المتلاحق بسرعة مع سلسلة لا تنتهي مع التغيرات والمتغيرات، واضطراره لوعي فيض متفجر من المعلومات يتدفق عليه كل يوم"(28). فالمرحلة الحالية المعاصرة " ترتبط التنمية بالقدرة على وضع العلم في

خدمة الإنسان، والاستفادة بالمعرفة العلمية لإبداع وتطوير الفرد وتحسين مستواه الفكري والأخلاقي والثقافي. فبالعلم والبحث العلمي تطور الإنسان وأنتج وسائل يستخدمها في كل الميادين من أجل تلبية حاجاته الاجتماعية والنفسية والعلمية. أنتج العلم التكنولوجيا التي أحدثت ثورة غيرت سلوك وبيئة الأفراد والمجتمعات في كل مناطق العالم.

وبدون شك فإنّ الثورة التكنولوجية التي تشهدها البشرية اليوم أحدثت "نقلة مجتمعية حادة، هذه التكنولوجيا السّاحقة وليدة التّلاقى الخصب للعديد من الروافد العلمية والتكنولوجية والتي يتسم قمتها ثلوث تكنولوجيا الكمبيوتر ونظم الاتصالات وهندسة التّحكم التّلقائي" (29)، ونحن ما يهمنا في مجال بحثنا هذا هو العنصر الثاني المتمثّل في نظم الاتصالات وما لها من دور في إحداث هذه النّقلة المجتمعية في الجزائر مجتمعا وأفرادا. خاصة على مستوى التّفكير.

يعدّ التعليم بمختلف مراحله عنصر أساسي لتحقيق الأمن الفكري في الجزائر. ولتحقيق ذلك لابد من توفر وسائله الممتلئة في إيجاد مدرسين ومعلمين أكفاء وكذلك مكاتب عصرية والترويج لثقافة والمطالعة والقراءة الهادفة لزيادة المستوى الثقافي ودحض كل الادعاءات المشوهة للقضايا المطروحة والمسائل الشائكة في المجتمع الجزائري. لكن ما يلاحظه المرء أنّ "أسباب تراجع المقروئية في الجزائر عديدة ومتشعبة... قد يكون السّبب الرئيسي ماديًا، لكن هناك أسباب لا تقل أهمية عن الأول، وهو عدم الترويج للكتاب، فالكثير من الكتب الهامة تصدر ولا يعرف عنها المواطن شيئاً لأنّ وسائل الإعلام لم تلتفت إليها ولم تقدمها للناس. إنّ صناعة الكتاب أصبحت كأي صناعة أخرى تحتاج إلى إشهار وترويج، ولن تتجح بغير ذلك... فكم من كتاب حمل أفكاراً بسيطة لكنّه انتشر بين الناس وحقق مقروئية كبيرة لا لشيء إلاّ لأنّه وجد من يروّج له وكم من كتاب قيم ظلّ حبيس غرفة صاحبه لأنّه لم يجد من يقدّمه للناس" (30).

فوسائل الإعلام بما تملكه من قدرة على التّشهير والترويج تستطيع أن تخلق مجتمعا يعي معنى المقروئية ويجسّدّها في واقعها. ومما لا يخفى على أيّ فرد في

الجزائر فإنّ المشاكل التي تعيق تحريك فعل القراءة في المجتمع عديدة ومختلفة، ترتبط كثيرا بطبيعة النظام السياسي والسياسات التي يطبقها في فاعلية أو عدم فاعلية هذه الظاهرة في المجتمع الجزائري. فالسياق الاجتماعي والثقافي عموما أفرز حالة توصف بالسلبية، أي "سلبية الإعلام الثقافي في التعاطي مع موضوع الكتاب والقراءة في الجزائر، إذ وبرغم تخصيص الأقسام الثقافية في الصحافة المكتوبة لبعض المقالات التي يتمّ من خلالها عرض لأهم الإصدارات والكتب إلّا أنّ ذلك لا يرتقي لمستوى لعب دور نقدي يدفع لخلق جيل قارئ"(31).

### خلاصة واستنتاجات:

في ختام هذه الدراسة يمكن القول أن الجزائر عرفت خلال فترة تسعينات القرن العشرين مشاكل عديدة شملت مختلف الميادين. خاصة منها الأزمة الأمنية التي أثرت بشكل كبير على التنمية الوطنية وجعلتها تتخلف عن كثير من دول العالم. غير أنه في بداية القرن العشرين قامت السلطة السياسية بالعمل على تحقيق الأمن واسترجاع الاستقرار إلى البلاد وذلك باستخدام سياسات وتدابير سياسية وأمنية واقتصادية متتالية. لكن بالنظر إلى انتشار ظاهرة العولمة الإعلامية والانترنت وبروز مواقع التواصل الاجتماعي عبر الفيسبوك وتويتر والقنوات التلفزيونية الأجنبية العربية منها والغربية لم يعد للجزائر سوى إصلاح البيت الداخلي والعمل على فعل إجراءات إصلاحية حقيقية خاصة لفئة الشباب من أجل جعله يشارك في العملية السياسية بطريقة حضارية وشفافة وبحرية دائمة. فالفكر لم يعد مقيدا والثقافة لم تعد تحتكر في مكان معين من العالم بل أصبح العالم عبارة عن قرية صغيرة وعالم مفتوح على كل المستجدات الحاصلة في أي منطقة من هذا العالم المترامي الأطراف. وعليه فقد حل في عصرنا الحديث هذا فكر مستتير وناقد ويحاكي ثقافة التكنولوجيا الحديثة. ولم يعد فكر تقليدي جامد يحقر ويهمش الفرد.

وزيادة على ما سبق ذكره نستطيع القول أن الشيء الذي يسبق كل شيء في عملية التنمية الوطنية في الجزائر هو تامين فكر سليم يواكب التطورات الحاصلة ويستغني عن كل الذهنيات والعقليات التقليدية المحارية للتغيير الهادف. فقبل أن نبني

سياساتنا الوطنية وبرامجنا التنموية وغير ذلك يجدر إن نهتم بالفكر أولاً وأخيراً ونؤمن هذا الفكر بالتربية السليمة والمدرسة المؤهلة والتعليم الجيد والإعلام الوطني المتحرر.

إن التطرف لا يطور الدولة والمجتمع كما أن الفكر التقليدي يهدم كل الإرادات لدى أفراد المجتمع. وبالتالي حتى تتحقق تنمية وتخلق إرادة وتسترجع الثقة بين المواطن ومؤسسات بلاده ينبغي أن نهتم بالمثل والقيم والأفكار التي تتحكم في الأفراد وينبغي تأهيلها وجعلها تتكيف مع التطورات العلمية المعاصرة، فلا يمكن إلغاء القيم والعادات والأعراف المجتمعية وحتى الاقتصادية بل تعضيدها وتوظيفها مع النظريات والابتكارات الجديدة والمغيرة لنمط الحياة من الوضع البدائي إلى وضع حديث وما بعد حديث، وببساطة الأخذ من العولمة الأشياء الصالحة والنافعة والتي تعود بالمجتمع على النمو والتطور وترك الأمور والأشياء المفسدة والتي تضر بالمجتمع فكرياً ومادياً.

#### الهوامش:

(1)- رامي اللامي، "تعريف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات"، 29/تشرين الأول 2009م، نقلاً عن موقع: <http://sdew.maktoobblog.com> (تاريخ الاطلاع 2011/02/28).

(2)- نبيل علي، العرب وعصر المعلومات. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ع 184، 1994، ص 12.

(3)- القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 125.

(4)- البخاري في الأدب المفرد (300) والترمذي (2384) وابن ماجه (4231) بسند حسن.

(5)- فائزة الباشا، "الأمن الاجتماعي والعولمة"، ليبيا، جامعة الفاتح، 2006، نقلاً عن:

<http://www.greenbookstudies.com/ar/lectures/L2006019.doc>

(6)- محمد ناصر الحسيب، "تعريف الأمن ومفهومه"،

<http://www.montdabishah.net/vb/showthread.php?t=4647> (17 صفر 1431هـ).

(7)- <http://www.alyaseer.net/vb/showthread.php?t=3235> ، أكتوبر 2005م (تاريخ

الزيارة 2011/03/05)

(8)- محمد ناصر الحسيب، مرجع سبق ذكره

(9)- نفس المرجع السابق.

- (10) - نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، عدد 2001، 265م، ص 349-350.
- (11) - عادل محمود رشيد، إدارة الشراكة بين القطاع العام والقطاع الخاص. القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2006م، ص 10.
- (12) - أحمد صقر عاشور، " إدارة السياسات الاقتصادية والتنموية"، إدارة سياسات التنمية. القاهرة: منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 1998م. ص 88.
- (13) - - عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة. بيروت: دار الشروق، 2004م، ص 33.
- (14) - علي الخضر، " القطاع العام من منظور الليبرالية الاقتصادية"، صحيفة اقتصاد (دمشق)، (نيسان) 2002م، ص 11.
- (15) - - صقر عاشور، مرجع سابق، ص 88.
- (16) - نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، مرجع سابق، ص 353.
- (17) - - هامل، جاري، "إعادة ابتكار أسس المنافسة"، دراسات مترجمة، إعادة التفكير في المستقبل، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2004م. ص 126.
- (18) - إبراهيم أبراش، " في عصر العولمة تتجدد تساؤلات عصر النهضة العرب وتحديات عصر العولمة"، مجلة المستقبل العربي، السنة التاسعة والعشرون، العدد 337، ( مارس) 2007م، ص 17.
- (19) - عزت حجازي، الشباب العربي ومشكلاته. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1985، ص 65.
- (20) - نفس المرجع ونفس الصفحة.
- (21) - محمود رشيد، مرجع سابق، ص 189.
- (22) - عواطف عبد الرحمن، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، عدد 1984، 78، ص 11.
- (23) - عزو محمد عبد القادر ناجي، " تأثير الانترنت على ثقافة الشباب العربي"، نقلا عن: [//www.watean.info/vb/t9577.htm](http://www.watean.info/vb/t9577.htm)
- (24) - نفس المرجع السابق.
- (25) - مصطفى المصمودي، النظام الإعلامي الجديد. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1985، ص 193.

- (26) - أنطوان زحلان، " مشكلة هجرة الكفاءات"، بحوث ومناقشات الندوة التي نظمتها اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا ( أكوأ) الأمم المتحدة، لجنة من المؤلفين، هجرة الكفاءات العربية. ط3، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1985م، ص23.
- (27) - رامي اللامي، مرجع سبق ذكره.
- (28) - زهير الكرمي، العلم ومشكلات الإنسان المعاصر. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1978، ص241.
- (29) - نبيل علي، العرب وعصر المعلومات. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ع 184، 1994، ص 12.
- (30) - زكية علال، "المقروئية في الجزائر تتراجع عاما بعد آخر"، مايو، 2007م، نقلا عن: <http://www.shathaaya.com/vb/showthread.php?t=66916>
- (31) - السياق الثقافي والاجتماعي لأزمة المقروئية، نقلا عن: <http://www.shathaaya.com/vb/showthread.php?t=66916>